الفصـــل الثالث

الدافعيـــة

الدافعية(١) ودراسات العمر

أشارت بعض الدراسات التى اختصت بموضوع العمر وعلاقته بالابداع الى احتمال وقوف عامل الدافعية كأحد الأسباب الرئيسية لتدهور القدرة الابداعية مع تقدم العمر · (e.g. Osborn, 1963; Lehman, 1953)

الا أن بلز قد أكد بشكل حاسم قدرة هذا العامل على التأثير على طبيعة علاقة العمر بالابداع · وتسنى له هذا التأكيد من خلال دراسته التى أجراها بغرض تبين مدى تغير منحنى العمر واختلافه باختلاف اتجاهات الأفراد (1964 b) · فقد قام بلز فى هذه الدراسة بتقسيم ١٣١١ عالم من العاملين فى معامل البحث والتنمية الى ثلاث مجموعات ذات درجات مختلفة من الدافعية · وأقيم هذا التقسيم على أساس تقدير العالم لنفسه من خلال اجابته على بعض الأسئلة التى تختص بمدى استغراقه فى عمله واهتمامه به ، والمدى الذى يرى به هذا العمل على أنه يقدم له الحفز(٢) الذى يمكنه من ذلك الاستغراق · ومن ثم أمكن تحديد طبيعة علاقة العمر بالانتاج العلمى فى كل مجموعة من هذه المجموعات على حده · وقد انتهت الدراسة الى بعض النتائج التى يمكن تلخيصها على النحو التالى :

١ ـ كان الأفراد شديدو الاستغراق فى أعمالهم أكثر انتاجية من بقية العلماء الآخرين ·

٢ ـ لعب هذا الاستغراق فى العمل دورا بارزا فى اظهار انجاز مبكر للعلماء · بالاضافة الى هذا فقد مكن هذا الاستغراق من الاحتفاظ بقدر لا بأس به من الانجاز فى السنوات المتأخرة ، برغم التدهور الذى صاحب عملية التقدم فى العمر ·

---

(١) Motivation

(٢) challenge

٣ ـ كان تأثير الفروق العمرية فى الأداء لدى المجموعة المرتفعة فى الدافعية طفيفا اذا قورن بالفروق التى وجدت داخل المجموعتين الأخريين ٠

وتماثل نتائج هـذه الدراسة نتائج دراسة أخرى (Pelz, 1957) أجـرى فيهـا نفس الباحث المذكور تحليـلا احصائيـا لبيانات دراسـة ليبرمان وملتزر Lieberman & Maltzer الخاصة بمجموعة من علماء الفيزيولوجيا ٠ فقـد حاول بلـز فى هـذه الدراسة أيضـا القـاء الضـوء على طبيعة علاقة العمر بالابداع مع أخـذ عامل الدافعية فى الاعتبـار ٠ فكشفت نتـائج هـذه الدراسـة عن أن المجموعـة ذات الدافعيـة المرتفعـة أظهـرت قمـة انجازها العلمى عند سن الأربعين ، حيث تلى حدوث هـذه القمة تدهور فى القـدرة على الانجـاز ، أعقبه حـدوث قمـة أخرى عند سن الخامسة والخمسين ٠ أما بالنسبة للمجموعـة ذات الدافعية المنخفضـة ، فقـد أظهرت قمة واحـدة للانجاز العلمى عند سن الأربعين أعقبهـا تدهور مستمر فى الانجاز غير متبوع بحـدوث أية قمة أخرى ٠

ومن خلال هـذا تبدو أهمية عامل الدافعية كعامل أساسى يجب أن يؤخذ فى اعتبار أى دراسة تضطلع ببحث علاقة وظيفة سيكولوجية معينة بعامل العمر ٠ هـذا وان كانت أهمية هـذا العامل تتباين بتبـاين نوع الوظيفة السيكولوجية موضع الدراسة ، بمعنى أن مدى اسهامه فى القـدرة على ممـارسـة وظيفة سـيكولوجية معينة لدورها انمـا يختلف باختـلاف طبيعة هـذه الوظيفة ٠

تعـريف الدافعيـة

يقول لندزى (Lindzy, 1964) انه ليس هناك مجال من مجالات علم النفس قـد خضع للبحث لفترة طويلة من الزمن كمجال الدافعية ، وان تم هـذا البحث بشكل يفتقد الى الدقة ومن ثم اتسم هـذا المجـال ببعض الخصائص التى يحددها لندزى فى التالى :

١ ـ اختلاف وجهات نظر الباحثين فيما يتعلق بمتغيرات الدافعية التى يفترضونها لتفسير السلوك ٠ فالباحثون الذين يرون السلوك على أنه مدفوع

بدوافع مقبولة اجتماعيا يختلفون عن الآخرين الذين يرون السلوك على أنه مدفوع بدوافع لا تحظى بالقبول الاجتماعى · والباحثون الذين يرون السلوك على أنه مدفوع بدوافع بيولوجية يختلفون أيضـا عن أولئك الذين يضفون أهمية كبرى على الدوافع الاجتماعية المكتسبة ·

٢ ـ انصب اهتمام معظم الباحثين فى خمسينات هـذا القرن على الوقوف على بواعث السلوك البشرى ، دون توجيه جزء من هـذا الاهتمام الى مشكلة قياس الدوافع التى تكمن وراء السلوك · ومن ثم كان من الصعب تحـديد الفـروق الفـردية التى يمكن أن توجـد بين الأفراد فى الدوافع موضـــع الاهتمـــام ·

٣ ـ ان معظم الباحثين الذين اهتموا بمشكلة قياس الدافعية قـد ركزوا اهتمامهم على الحيوان · وبالتالى فلم يكن لدى هؤلاء الكثير الذى يمكن قوله فيما يختص بالدوافع البشرية ·

ويرد لندزى هـذا الأمر الى حقيقة أن علماء النفس قـد ركزوا اهتمامهم فى النصف الأول من هـذا القرن على قياس السلوك المعرفى بدلا من الاهتمام بدوافع السـلوك · الأمر الذى كان من نتيجتـه تركيز كل طاقة العلمـاء وجهودهم على قياس الذكاء والقـدرات الخاصة دون أن تمتد هـذه الطاقة وهـذه الجهود الى موضوع الدافعية ·

ويـذهب رش الى معنى شـــبيه بذلك (Ruch, 1970 p. 375) . فهو يرى أن موضوع الدافعيـة قـد ترك لفترة طويلة محـورا للتأملات الفلسفية ، بدلا من تناوله من خلال وجهة نظر علمية · وهو يؤكد هـذا من خلال ما أوضحه من عـدم اشـارة ادوارد بورنج Edward G. Boring فى كتابه « التاريخ الكلاسيكى لعلم النفس التجريبى » الصـادر سـنة ١٩٢٩ الى موضوع الدافعية على الاطلاق ·

ومهما يكن من أمر ، فانه على الرغم مما تشير اليه ملاحظتا كل من رش ولندزى من حيث ندرة تناول موضوع الدافعية تناولا علميا يكشف

عن ماهية هـذا المصطلح ، فان العقود الثلاثة المـاضية من هـذا القرن قـد شهـدت نوعا من الاهتمام بهـذه الظاهرة السيكولوجية • ولعل أوضـح امارات هـذا الاهتمام هى تعاون علماء النفس وعلمـاء الفيزيولوجيـا مع بعضهما البعض فى محاولة منهم لتحديد ما يعنيه مفهوم الدافعية ، ودراسة الظروف المختلفة التى يمكن أن تقوم بعملية تدعيم السلوك وتوجيهه • ومن خلال هـذا تبـدو أهمية استقراء بعض هـذه المحاولات حتى يمكن الوقوف من خلالها على تحديد دقيق لمـا يعنيه مصطلح الدافعية •

يعرف رش (المرجع السابق) الدوافع بأنها مجموعة من المكونات(٣) الداخلية التى تنهض بوظيفتين أساسيتين :

١ ـ توجيه مسار سـلوك الأفراد حيال أهـداف معينة بذاتها ، أو بمعنى آخر الاستجابة لمنبهات معينة دون منبهات أخرى •

٢ ـ تزيد هـذه الدوافع من شـدة الطاقة حتى تتناسب مع النشاط أو السلوك المطلوب لتحقيق هـذه الأهـداف •

ويذكر رش من خلال بعض التجارب التى انصبت على بعض الأنشطة الحركية أن هـذه الطاقة التى يستثيرها وجود الدوافع انما تتصل بالجهاز العصبى المستقل(٤) • كما أوضح أيضا أن العلاقة بين الأداء وبين درجة الاستثارة الباعثة على الطاقة هى علاقة منحنية • ويوضح رش بالاضافة الى هـذا أن هناك نوعين من الدوافع ذات التأثير على السلوك هما : الدوافع البيولوجية والدوافع السيكولوجية • ويمثل النوع الأول بعض الدوافع المعينة مثل دافع الجوع أو الدافع الجنسى ، ويمثل النوع الثانى بعض الدوافع الأخرى كالحاجة الى الأمن(٥) أو التقـدير الذاتى(٦) •

ويتخذ اشباع هـذه الدوافع شكل الأولويات ، بمعنى ان اشباع دافع أساسى معين انما يهيىء الفرصة لمحاولة اشباع دافع آخر يتلوه فى

---

(٣) constructs

(٤) autonomic nervous system

(٥) security

(٦) self-esteem

الأهمية • ويعتمد اشباع هـذه الدوافع والأسلوب الذى يتم به هذا الاشباع على الظروف البيئية والاجتماعية التى يوجد فيها الفرد • كما يعتمد أيضا على مـدى نمو ونضج الفرد البيولوجى والسيكولوجى والاجتماعى •

ويعـرف فسـتنجر (Festinger, 1964) الدافع بأنـه مفهـوم افتراضى(٧) يمكن عالم النفس من محاولة تفسير سلوك معين ملاحظ • فالشخص الذى يبذل جهـدا غير عادى ، يفوق به أقرانه عند أدائه سلوكا معينا ، ربما يقـود أحـد علمـاء النفس الى افتراض وجـود دافع لديـه للانجاز(٨) ، وربما يقود عالمـا آخر لافتراض ما يسمى بالدافع الى حماية الذات(٩) ، أو الدافع الى البقـاء(١٠) • فكل هـذه الدوافع المذكورة هى مجرد مفاهيم افتراضية لتفسير السلوك • الا أنه تجـدر الاشارة هنا الى أن المفهوم الافتراضى ، لكى يكشف عن صلاحيته ، لا بد من أن يتوفر لـه شرطـان أسـاسيان :

١ ـ القـدرة على تفسير معظم البيانات بطريقة جيـدة ، بمعنى أن اختيار مفهوم معين انما يتحـدد من خـلال مدى ملاءمة هـذا المفهوم المفترض لتفسير السلوك الملاحظ •

٢ ـ يجب أن يكون هـذا المفهوم الافتراضى جزءا من نظرية معينة، او جزءا من افتراض معين على الأقل • فافتراض وجود دافع معين لا تتضمنه نظرية أو فرض ما ، لا يمكن من القـدرة على الحكم على صلاحية هـذا الافتراض • فضلا عن أن الافتراض الأعزل لا يمكن أن يضطلع بأى نوع من أنـواع التفسـير • فاذا افترض العلمـاء وجـود ما يسمى بالحاجـة الى الانتماء(١١) ، فان هـذا لا يعنى شيئا على الاطلاق الا اذا استطاع هؤلاء العلماء أن يحـددوا ما الذى ينتظر أن تؤديه هـذه الحاجة كمتغير مستقل

---

(٧) a hypothetical construct
(٨) achievement motive
(٩) ego protection
(١٠) survival need
(١١) need for affiliation

فى علاقتها بأحد المتغيرات التابعة • بمعنى آخر ، كيف تؤثر هذه الحاجة فى سلوك الأفراد • بالاضافة الى هذا فان على هؤلاء العلماء أيضا أن يكشفوا عن بعض الفروض التى تبدو فيها هذه الحاجة كمتغير تابع ، أو بمعنى آخر تحديد المتغيرات التى تؤثر فى حجم هذه الحاجة ـ تلك المتغيرات التى يمكن تسميتها بالمتغيرات المتقدمة ، والتى يجب أن تحدد بوضوح كاف يسمح بالوقوف على نوعين من البيانات :

(أ) المظاهر التى يمكن قياسها من تاريخ حياة الشخص • تلك المظاهر التى يمكن أن تكون قد أثرت فى هذه المتغيرات المتقدمة ، وبالتالى يمكن أن يورد احتمال تأثيرها على حجم هذا الدافع أو هذه الحاجة التى لدى الفرد •

(ب) العوامل المرتقبة المباشرة التى يمكن تناولها تجريبيا •

واستنادا الى هذا يرى فستنجر أن هذه الدوافع البشرية لا يمكن قياسها بشكل مباشر • فكل ما يمكن قياسه هو : اما الظروف السابقة التى تؤثر على حجم الحاجة أو الدافع ، أو النتائج السلوكية التى تتوقف على وجود مثل هذا الدافع • ومن ثم فالموقف هنا يماثل فى طبيعته أى مفهوم افتراضى آخر من حيث أنه يمكن قياسه اما من خلال المتغيرات التى تؤثر فيه أو من خلال الآثار أو النتائج التى يقتضيها وجود ما هومفترض • ومهما يكن من أمر ، فان الاسلوب الشائع لقياس الدوافع فى علم النفس ، كما يقرر فستنجر ، هو قياس ما يترتب على الدوافع المفترضة من سلوك •

ويتماثل تعريف فستنجر هذا مع تعريف برهم (Brehm, 1962) حيث يرى الأخير أن مصطلح الدافعية ما هو الا مفهوم افتراضى يربط بين بعض الظروف المتقدمة وبعض الظروف اللاحقة • بمعنى آخر ان افتراض وجود نوع معين من الدافعية يستوجب القدرة على تقرير ما الذى يثير أو يحدد حجم هذه الدافعية ، كما يستوجب أيضا تحديد الآثار السلوكية الناتجة عنها • وكلما زادت قدرة مفهوم افتراضى معين على ربط المتغيرات المؤثرة بالمتغيرات الناتجة كلما زادت فاعلية مثل هذا المفهوم •

وبتطبيق هـذا التصور على دافع الجـوع مثلا ، يمكن القول بانه لافتراض دافع معين يسمى بدافع الجـوع ، لا بد أن يكون فى اسـتطاعة الباحث أن يحـدد بشكل اجرائى كيف يمكن اثارة دافع الجـوع هـذا ، بالاضافة الى تحـديد الآثار الناتجة عن وجود مثل هـذا الدافع • وازاء هـذا يمكن القول ، على سبيل المثال ، بأن درجة دافع الجوع تزداد بازدياد الفترة التى تنقضى بين وقت تنـاول آخر طعـام وبين وقت قياس هـذا الدافع • وأن درجة هـذا الدافع تحـدد الدرجة التى يحاول بهـا الكائن خفض التوتر الذى يثيره وجود مثل هـذا الدافع لديه •

ويرى أتكنسون (Atkinson, 1957) أنه لا بد لأية نظرية فى الدافعية من أن تنهض بوظيفتين أساسيتين هما :

١ ـ تفسير اختيار الفرد لمسلك معين من الأداء دون مسلك آخـر •

٢ ـ تفسير قوة وحجم سلوك الفرد الذى يتجه حيال هـدف معين •

وتمشيا مع هـذا يحـدد أتكنسون (Birney, et. al., 1969, p. 168) الدافع بأنه استعداد الفرد للمجاهدة فى سبيل تحقيق هـدف معين أو اشباع معين • وتحديد الدافع كحالة استعداد(١٢) انما يتطلب تحديدا لما يمكن أن يتحقق • وبالنسبة لأتكنسون ، فان هـذا التحقق يحدث فى حالة وجود اشارات موضوعيـة تشير من جانب الفرد الى امكانيـة تحقيق أو توقع الحصول على الباعث(١٣) • ولهـذا فان مفهوم الدافعية يشير الى تلك العلاقة التى توجد بين الدافع ، وتوقع الباعث ، والباعث • تلك العلاقة التى توجه السـلوك تجـاه تحقيق الهـدف أو تجـاه بعض موضـوعات هـذا الهـدف(١٤) • وبالاضافة الى هـذا تحدد تلك العلاقة أيضا قوة وحجم السـلوك المراد منه تحقيق الهـدف •

---

(١٢) dispositional state incentive

(١٣) incentive

(١٤) goal objects

وازاء هـذا التصور ، يتحـدد الدافع الى الانجاز ، على سبيل المثال ، فى أنه استعداد الفرد للاقتراب من النجاح(١٥) ، ويتحدد التوقع فى أنه احتمال هـذا النجاح ... ، بينما يصبح الباعث هو قيمة النجاح ذاته · والنجاح هنا انما يعنى النجاح الموضوعى كما يتحـدد من خلال العمل · ومن ثم ، فان دافعية الفرد للانجاز هى ذلك المركب الثلاثى من قوة الدافع ، ومدى احتمال نجاح الفرد ، والباعث ذاته بما يمثله من قيمة فى عين الفرد · وبهـذا المعنى يمكن تلخيص النموذج الذى يقدمه أتكنسـون لتحـديد مفهوم الدافعية فى المعادلة الآتيـة :

$$\text{aroused motivation} = F\ (M, P, I)$$

حيث تشير "M" الى الدافع ·

وتشـير "P" الى احتمال النجاح ·

وتشـير "I" الى الباعث ومدى قدرته على تحقيق الهـدف ·

وبالنظر الى نموذج أتكنسون هـذا ، يمكن القول بأنه على الرغم من فاعلية مثل هـذا النموذج فى التمييز بين مفهوم الدافع ومفهوم الدافعيـة ، وقدرته أيضا على توضيح العلاقة بين الدافعية والسلوك ، فان هـذا النموذج لا يمكنه أن ينهض بتفسير اتجاه السلوك وجهـة ما دون الأخرى · فربما يتوافر الدافع الى الانجاز بدرجة متسـاوية لـدى فردين من الأفراد ولكن أحدهما يتجه الى تحقيق الانجاز فى مجال معين دون تحقيقه فى المجال الذى اتجه اليه الفرد الآخر ·

ويربط دفى (Duffy, 1957) بين مفهوم الدافعية وبعض المفاهيم الأخرى مثل الاستثارة(١٦) ، وعملية النشاط(١٧) ، وتعبئة الطاقة(١٨) · فالتباين فى السلوك أو فى شـدة الاستجابة يمكن رده ـ على حـد قوله ـ

---

(١٥) approach success

(١٦) arousal

(١٧) activation

(١٨) energy mobilization

الى التباين فى شدةالاستثارة التى تكشف عن نفسها من خلال عدد من المظاهر المختلفة مثل التوتر العضلى(١٩) أو رسم موجات الدماغ (٢٠) أو معدل النبض(٢١) أو التنفس • ويرى دفى أن هذه المقاييس المختلفة ترتبط ببعضها البعض وان كان الارتباط بينها غير مرتفع • وهو أمر يكشف عن درجة ما من العمومية لهذه الاستثارة ، كما يكشف أيضا عن حقيقة أخرى مفادها أن طبيعة هذه الاستثارة انما تعتمد على موقف المنبه ذاته(٢٢) • ولهذا فان مفهوم الاستثارة يمثل ، من وجهة نظره ، فائدة كبرى لدراسة مفهوم الدافعية • فعن طريق المقاييس الفيزيولوجية السالف ذكرها يمكن الحصول على مقياس مباشر لدرجة دافعية الشخص كما تتحدد من خلال درجة شدة الاستجابة • كما يرى دفى أيضا أن العلاقة بين درجة الاستثارة وبين الأداء هى علاقة منحنية تأخذ شكل مقلوب حرف "U" .

وتبرز وجهة نظر دفى هذه فى الدافعية من خلال تصور أن التباين فى السلوك يمكن رده اما الى التباين فى اتجاه السلوك أو فى شدة السلوك • ويبدو أن عنصرا واحدا منهما هو الذى نال اهتمام دفى ألا وهو الكشف عن شدة السلوك •

وتتفق وجهة نظر دفى هذه مع وجهة نظر مالو (Malmo, 1959) التى يقرر فيها صلاحية استخدام مفهوم الاستثارة كحالة عامة للدفع(٢٣)، أو بمعنى آخر هو عملية النشاط العامة لدى الفرد • وتتميز لديه هذه الحالة العامة من النشاط بمجموعة من الخصائص هى :

١ ـ ان حالة النشاط العامة هذه ليس لها وظيفة توجيهية(٢٤) •

٢ ـ ان حالة النشاط العامة ليست بالحالة التى يمكن استنتاجها

---

(١٩) muscle tension
(٢٠) electroencephalogram
(٢١) pulse rate
(٢٢) stimulus situation
(٢٣) general drive state
(٢٤) steering function

من الشروط أو الظروف السابقة ، وذلك لأنها محصلة التفاعل بين الظروف الداخلية والظروف الخارجية ٠

٣ ـ ان حالة النشاط العامة انما تمثل بعدا تكميميا(٢٥) ٠

ويرى ادجار فيناك (Vinacke, 1962) أن مصطلح الدافعية انما يختص بالشروط المسئولة عن التغير الذى يحدث فى شدة واتجاه السلوك ٠ تلك الشروط التى يحددها فى فئتين رئيسيتين : شروط داخلية ، وأخرى خارجية ٠ وكلتا هاتين الفئتين تنتظمان فى نظام واحد يتميز بالتفاعل والترابط ، بحيث لا يمكن تفسير التغير فى أى نوع من أنواع الاستجابات من خلال الاستناد الى شرط واحد أو عنصر واحد من هذه العناصر ، ولكن تستمد القدرة على هذا التغيير من خلال الاستناد الى النظام بأكمله ٠

ويقسم فيناك الشروط الداخلية الى ثلاثة عناصر هى الاستثارة(٢٦) والتنظيم(٢٧) والتوافق(٢٨) ٠ أما الشروط الخارجية فتشتمل على عنصرى الحث(٢٩) والموقف(٣٠) ٠ والشروط أو العناصر الداخلية يمكن استنتاجها من المفحوص اما قبل موقف التجربة أو من خلال الظروف التى تسود موقف التجربة ذاتها ٠ أما العناصر الخارجية فهى التى ترتبط بالظروف البيئية ذات التأثير على سلوك المفحوص ٠ ويحدد فيناك هذه الشروط كالآتى :

الاستثارة : هى أكثر مستويات الدافعية عمومية ـ فهى عبارة عن درجة الطاقة الأساسية التى يبذلها الفرد متمثلة فى حالة عامة من النشاط تسود أنسجة الجسم ٠ ولهذه الاستثارة خاصيتان أساسيتان ، أولاهما كمية والثانية نوعية ٠ وتعنى الخاصية الكمية أن هذه الاستثارة تتباين من ناحية الشدة أو الدرجة التى تكون عليها ٠ أما الخاصية النوعية فانها تعنى أن هذه الاستثارة تختلف فى تنظيمها وتوزيعها باختلاف الأنسجة ٠ وهذه

---

(٢٥) quantifiable dimension
(٢٦) instigation
(٢٧) regulation
(٢٨) adjustment
(٢٩) induction
(٣٠) situation

الخاصية النوعية للاستثارة انما تماثل فى مضمونها عملية التمييز المألوفة بين الدوافع المختلفـــة ٠

ويرى فيناك أنه على الرغم من أن النشاط الذى يبذله الفـرد فى أى موقف من المواقف انمـا يستقطب قوى الاستثارة المختلفـة الموجـودة فى الأنسجة ، فان هناك مع ذلك ، عنصرا واحـدا فقط هو الذى يضطلع بدور أســاسى فى كل موقف من هـــذه المواقف ، فى حين يتصف دور العنـاصر الأخرى بالثانوية ٠ وتتحـدد طبيعة هـــذا العنصر الذى يضطلع بدوره الأساسى من خلال طبيعة الموقف ذاته ٠

ومهما يكن من أمر ، فان مفهوم الاستثارة لدى فيناك انما يماثل فى طبيعة مفهوم النشاط أو الاستثارة العامة لدى كل من دفى ومالـو السابق الاشارة اليهما ٠ الا أن الفارق الوحيد بين مفهوم فيناك والمفاهيم الأخرى ، هـو أن مفهوم فيناك يحـاول أن يميز بين مناطق الاستثارة المختلفـة على أســاس شـــدة الاستجابة فى كل منها لكى يثبت أن هناك عنصرا معينـا او منطقة بذاتها يكون لهـــا السيطرة أو البروز فى موقف ما دون المواقف الأخرى ٠ هـذا على الرغم من أن الدرجة الكلية للمستوى العـام من الاستثارة لا تفرق بين العناصر المختلفة من حيث اسهام كل منها فى هذه الدرجة الكلية٠

والنقطة الأخرى التى يؤكدها فيناك فى هـذا السياق أيضا هى تاثير التعلم على عملية الاستثارة هـذه ٠ فالأسلوب الحقيقى الذى تعمـل بـه الأنسجة والعمليات الفيزيولوجية الخاصة باستغلال الطاقة(٣١) يتاثر الى حـد كبير بالخبرات التعليمية التى يمر بها الفرد ٠ فدافع الجوع ـ على سبيل المثال ـ لدى الشخص الراشـد لا يكون بنفس الطريقة التى يـكون بها لدى الطفل الصغير ٠ وبناء على هـذا التصور يميز فيناك بين الصـورة الفطرية للدوافع* ، والصـورة التى تكون عليهـا بعـد ذلك** ٠ ووجهـة

---

(٣١) energy utilization

(*) يطلق فيناك هنا مصطلح "drives" على هـذه الصورة الفطرية ٠

(**) يحـدد فيناك هـذه الصورة المتطورة بمصطلح "motives" ٠

النظر هـذه لا تتضمن أن كل الدوافع ينتابها التغير ، كما أنها لا تحـدد أى درجة من التغير يمكن أن تحـدث • فكل هـذا انما يعتمد ـ على حـد رأيه ـ على ظروف التنشئـة الاجتماعيـة(٣٢) وظروف عمليـات التعـلم التى يمـر بهـا الفـرد •

ويذكر فيناك الى جانب هـذا أيضا أن الفرد فى أثناء عمليـة الارتقاء يكتسب صـورا وأشكالا أخرى من الاستثارة لا يكون لهـا أى أسـاس فطرى على الاطلاق • وهـذا النوع الجـديد من الاستثارة هو ما يسميه بالدوافع نفسـية المنشـأ(٣٣)* •

التنظيم : ويمثل العنصر الثانى من عناصر الدافعية •فهذا التنظيم انما هو ما يقوم بتوجيه عملية الاستثارة الى وجهة معينة دون الأخرى • ويمـاثل هـذا العنصر الذى يقترحه فيناك الى حـد ما مسميات أطلقها باحثون آخرون كمسميات الاهتمام ، والقيمة ، والعادة وما هو غير ذلك ، أما فيناك فيسميه بالاتجاه • فهـذا الاتجاه اذن هو وسيلة تعبيرية عن عمليات الاستثـارة • وتتضمن هذه الوجهة من النظر حقيقتين تتحددان فى الآتى :

١ ـ ان اختلاف هذا الاتجاه لدى فردين من الأفراد ، على الرغم من تماثلهما فى درجة الاستثارة ، انما يؤدى الى الاختلاف فى مسار الدافعيـة لـكل منهمـا •

٢ ـ ان تفسير أداء الأفراد على أساس الاستناد الى درجة الاستثارة دون اخـذ عامل الاتجاه فى الاعتبار يمكن أن يكون مضللا •

التوافق : وهذا العنصر الثالث انما يتعلق بمحددات انتقاء سلوك ما فى موقف معين • تلك المحددات التى يسميها فيناك بالتوجهات(٣٤) • ومن ثم ، فاذا

---

(٣٢) socialization

(٣٣) psychogenetic needs

(٣٤) sets

(*) • ومن ثم فهو يماثل بينهـا "motives" يطلق عليها هنا ايضا مصطلح وبين الصورة الفطرية للدوافع بعد أن تمر بعملية تطور من خلال عملية التعلم •

كانت الاتجاهات تحـدد مسار الاستثارة لدى الفـرد فان التوجهات انمـا تحـدد وسيلة التعبير عن الاتجاهات ذاتها ٠

الحث : ويمثل هذا العنصر الشروط التى تؤثر على متغيرات الفرد الداخلية. وهـذه الشروط انما تحدث قبل ظهور الأداء موضع القياس ٠ ولعل التعليمات التى تقـدم الى المفحوص بغرض احداث تغير معين فى درجة الاستثارة ، أو بغرض استدعاء اتجاه سلوكى مرغوب فيه ، يمكن أن تقف كمثال على هـذا النوع من الشروط ٠

الموقف : أما هـذا العنصر الأخير فهو يمثل التغيرات التى تصاحب أداء الشخص ذاته ٠ فدافعية الشخص انما تتأثر الى حد كبير بادراكه لأدائه ٠ وبخصائص العمل الذى يؤديه من حيث أهميته أو صعوبته ٠

ويطرح فيناك شرعية اصراره على ادراج كل هـذه المتغيرات فى مفهومه عن الدافعية ، فى تقريره بأن مجرد الاستناد الى عنصر واحـد من العناصر ذات التأثير على أداء الأفراد واطلاق مفهوم الدافعية عليه ، انما يغفل عناصر أخرى يجب أن تؤخـذ فى الاعتبار عند تحـديد دافعية الشخص ٠ فمفهـوم الدافعية من وجهة نظره يستوعب كل هـذه العناصر المـذكورة ، هـــذا من ناحية ، كما أنه يتضـمن العـــلاقات المختلفة القـائمة بين هـذه العنـاصر من ناحية أخـــرى ٠

وبالقاء نظره على هـذا التحديد الذى يقدمه فيناك عن الدافعية ، يمكن ادراك الى أى حـــد يمكن أن يتماثل هـذا التحـــديد مع ذلك الذى قـدمه أتكنسون ٠ فقـد أكد كل من هذين الباحثين على وجود عناصر مختلفة يمكن أن تلعب دورها فى تحديد درجة دافعية الفرد ، عناصر خاصـة بالدافع ذاته وعناصر أخرى موقفية وبيئية ٠ الا أن النموذج الذى قدمه فيناك يتميز عن ذلك الذى طرحه اتكنسون فى أن الأول بامكانه أن يقـدم تفسيرا عن كيفية توجه دافع معين الى وجهة ما دون وجهة أخـرى ٠

ومن خلال الصورة الى يمكن أن تكشف عنها تلك التعريفات المختلفة لمفهوم الدافعية ، يتسنى الوقوف على بعض السمات التى يمكن أن تحدد ما يعنيه هذا المصطلح اجرائيا ٠

١ ـ ان مفهوم الدافعية يعنى قوة الدفع التى يتلقاها السلوك الخاص بتحقيق هدف معين ٠

٢ ـ يتضمن هذا المفهوم عنصرين أساسيين : (أ) درجة ما من النشاط العام لدى الشخص يحدثها وجود دافع معين ٠ (ب) وجود توجه أو اتجاه معين يستقطب درجة النشاط العامة هذه من أجل تحقيق الهدف محل الاهتمام ٠

٣ ـ ان درجة دافعية الشخص لا يمكن قياسها بشكل مباشر ، ولكنها تكشف عن نفسها من خلال الآثار السلوكية التى تترتب على وجود دافع معين ٠ تلك الآثار التى يمكن أن تأخذ شكل درجة ما من النشاط العام لدى الفرد تظهر واضحة فى ثنايا الاهتمام ببعض الأنشطة السلوكية التى تتصل بهذا الدافع ٠

الدافعية والابداع

يرى أوسبورن (1963, p. 71) أن التفكير الابداعى ليس مجرد عملية عقلية بحتة ، ولكنه ، على العكس من ذلك محكوم من بدايته الى نهايته **بانفعالات المبدع ٠ فالتفكير الابداعى ـ على حد تعبيره ـ أشبه ما يكون** بطاقة معينة تكتسب قوتها من مصدرين أساسيين هما : انفعالات المبدع ، وارادته ٠

ويذكر أوسبورن أن عملية تشريح المخ قد كشفت عن وجود منطقة معينة تسمى بالمنطقة الصامتة(٣٥) ، تكون مسئولة عن خلق الأفكار ٠

---

(٣٥) silent area

وبجانب هـذه المنطقة الصامتة توجـد منطقة أخرى تسمى بالمهاد البصرى للمخ(٣٦) تكون مسئولة عن الجوانب الانفعالية للانسان · ويتصل هـذا المهاد البصرى بالمنطقة الصامتة المذكورة بشكل يؤثر على التفكير الابداعى · ويقـدم أوسبورن من خلال هـذا تفسيرا لظاهرة القدرة على انتـاج أفكار ابداعية تحت ظروف الضغط الانفعـالى ·

وتـؤيـد آن رو (Roe, 1970) وجهـة نظـر أوسبورن فى أهمية عـامل الدافعية للتفكير الابداعى من خلال البحث الذى أجرته على مجموعة من ٦٤ فردا من العلماء المبرزين · فقـد قامت رو فى هـذا البحث بدراسة هذه العينة دراسة متعمقة من خلال تطبيق بعض الاختبارات النفسية واجراء المقابلات الشخصية التى تناولت عددا من متغيرات الشخصية الهامة · فقـد اشتملت هـذه المتغيرات على تاريخ حياة هـذه العينة وخلفيتها العائلية واهتماماتها المهنية والترويحية · وبالاضافة الى هـذا قامت رو أيضا بتقدير ذكاء هـذه العينة وسماتها الشخصية ودوافعها التى كانت وراء اختيار أفرادها للمهن التى يعملون فيها · وقـد كشفت نتائج هـذه الدراسة عن وجود سمة بارزة ظهرت بشكل عام لدى أفراد هـذه العينة حددتهـا رو فى الرغبة فى العمـل المتواصل الشاق (المرجع السابق صص ٤٤ ، ٤٥) ·

ويرى ماكينون (1970) أنه لا يمكن الاشارة الى ظاهرة الانتاج الابداعى على أنها عملية واحدة ، ولكن خلافا لذلك يمكن اعتبارها تلخيصاً لمجموعـة من العمليات المعرفية والانفعالية والدافعية · فقـد أوضح من خلال البحث الذى أجراه على ١٢٤ مهندس معمارى من المبرزين فى مجالهم ، والذين قسموا فى هـذه الدراسة الى ثلاث مجموعات حسب درجة ابداعهم كما تبـدت من خلال حكم الثقات البارزين فى المجال ، تميز المجموعة ذات القدرة الابداعية العالية بمجموعة من الخصـائص · وقـد كان من أوضح هذه الخصائص ، خاصية الدافع الى الانجـاز ، وخاصـة فى المواقف التى تتطلب الاستقلال فى الفكر والعمـل (المرجع السابق ، ص ٣٠٩) ·

---

(٣٦) thalamus

وقد أوضح جونز (Stein, 1960, p. 247-248) من خلال دراسته التى حاول فيها تبين الخصائص التى تميز مجموعة من العلماء ـ شكلت عينة دراسته ـ أهمية خاصية المثابرة(٣٧) بالنسبة للعمل الابداعى • وقد حدد جونز هذه الخاصية ، بأنها الاهتمام الدءوب(٣٨) المصحوب بالقدرة على على التركيز الشديد فى المشكلة موضع الاهتمام •

ويكشف ماى (May, 1959) أيضا عن أهمية الدافعية كعنصر فعال للانتاج الابداعى البارز•فهو يفرق بين ما يسميه بالصور الحقيقة للابداع(٣٩) والصور الزائفة منه(٤٠) • والنوع الأول ـ على حد رأيه ـ هو الذى يكشف عن قدرة المبدع على الاستغراق التام فى العمل والتى لا يمكن أن تتوفر الا مع قدر كبير من الدافعية • فضلا عن أن عنصر الدافعية هذا هو الذى يميز بين الموهبة كما تقاس لدى الشخص والابداع الذى يتمثل فى الانتاج الابداعى ذاته •

وكشف بلوم أيضا (Bloom, 1956) من خلال البحث الذى أجراه مكتب الفحص فى جامعة شيكاغو ، والذى اختص بالوقوف على هوية الأفراد ذوى الامكانية الابداعية ، عن أهمية الدافعية كأحد العناصر الفعالة للأداء الابداعى • فقد عقدت المقارنة فى هذا البحث بين مجموعتين من الأشخاص أولاهما ذات قدرة عالية على حل المشكلات والأخرى ذات قدرة منخفضة فيها • وقد أسفرت نتيجة البحث عن أن عامل الدافعية يعادل فى أهميته عامل القدرة الابداعية من حيث اسهامه فى تفوق المجموعة الأولى • وأشار بلوم أيضا الى احدى الدراسات الأخرى التى قورنت فيها مجموعة من الكيمائيين والرياضيين المبرزين بمجموعة أخرى أقل بروزا فى هذين المجالين ، فتبين من هذه الدراسة عدم قدرة اختبارات الاستعدادات واختبارات حل المشكلات على التمييز بين هاتين المجموعتين من العلماء • وقد أرجع هذا الى عدم تطبيق بعض الاختبارات التى تكشف عن دافعية كل من هاتين المجموعتين •

---

(٣٧) perseverance
(٣٨) painstaking care
(٣٩) actual forms
(٤٠) pseudo-forms

وتتفق وجهة نظر بلوم هـذه مع وجهة نظر شتين (Stein, 1968) حيث يرى الأخير أن أحـد العوامل الأساسية التى ربما تكون قـد أسهمت فى انخفـاض معـاملات الارتباط بين اختبـارات الابداع لجيلفـورد وبعض المحكات الخارجية ، هو عـدم استخـدام بعض مقاييس الدافعية كمتغيرات وسيطة ، فقيمة هـذه الاختبارات ربما تزداد ـ على حـد تعبير شتين ـ اذا صاحبتها بعض المقاييس المعينة للدافعية • فضلا عن أن هـذا الاجراء انما يمكن من التغلب على النقـد الذى أورده ماكينون من أن اختبارات الابـداع وان كانت تقيس الأصالة وعـدم شيوع أفكار المفحوصين عند استجابتهم لبنود الاختبارات السيكولوجية ، فهى تفشل فى الكشف عن المدى الذى يمكن للفرد أن يتصرف به فى مشاكل الحياة الواقعية التى يواجهها • كما انها تفشل أيضـا فى الكشف عن مـدى دافعيـة الأفـراد فى تطبيق الأفكـار التى قـد يصلون اليها •

ويكشف تايلور (Taylor, 1964, p. 24) ، من خلال استناده الى مجموعة من الدراسات التى أجراها باحثون آخرون ، عن أهمية عنصر الدافعية لعملية الابداع • فقد أشار فى ذلك الى احدى الدراسات التى أجراها بلوم على بعض طلبة العلوم وحاول فيها الوقوف على بعض المؤشرات المبكرة لانتاجهم العلمى اللاحق • وقد أسفرت دراسة بلوم هـذه ، عن أن الطلبة الذين كانوا مستغرقين فى أعمالهم قبل تخرجهم قدموا اشارات واضحة بعـد التخرج على قدرتهم على الانتاج الابداعى • كما أشار تايلور أيضا ، استنادا الى بحوث ماكليلاند ، الى دافعية المبدع التى تأخذ شكل المخاطرة المحسوبة والتفانى فى العمل والرغبة فى الاكتشاف •

ويرى كل من روجـرز وماســلو (Rogers, 1959; Maslow, 1959) أن الفرد المبدع يتميز بدرجة كبيرة من الدافعيـة تكمن وراء ميلـه الخـاص لتحقيق ذاته ، أو بمعنى آخر تحقيق امكاناته • وهـذه الدافعية التى تميز المبدع هى التى تقوم وراء انفتاحه الداخلى على ذاته وانفتاحه الخارجى على العالم ـ كما أنها أيضا المسئولة عن رغبة المبدع فى المخاطرة فى مجالات جديدة غير مطروقة •

ويلتقى جولان (Dellas, 1970) مع وجهة نظر روجرز وماسلو • فقد قام جولان فى احدى دراساته باجراء مقارنة بين مجموعتين من الذكور ، مثلت المجموعة الأولى الأفراد ذوى القدرة الابداعية المرتفعة ومثلت الثانية الأفراد ذوى القدرة الابداعية المنخفضة • فكشفت الدراسة عن ميل المجموعة الأولى الى الأنشطة التى تسمح بالتعبير عن الذات والاستقلال واستخدام القدرة الابداعية • أما المجموعة الثانية فقد مالت الى عكس ذلك من الأنشطة •

ويحى بلز منحى وجهات النظر السابقة • فقد قام بلز فى احدى دراساته (1967) التى أجراها على ١٣٠٠ عالم ومهندس فى أحد عشر معملا من معامل البحث (حكومية وصناعية وجامعية) ، بالكشف عن نوع المناخ الملائم الذى يساعد على الانجاز العلمى • وقد أوضح البحث أن هذا المناخ الملائم هو الذى يجمع بين عوامل الحفز(٤١) وعوامل الأمن(٤٢) ، وقد تضمنت الفئة الأولى بعض العوامل المعينة وهى :

١ ـ مواجهة متطلبات معينة من البيئة على العالم أن يوفيها •

٢ ـ مواجهة وجهات نظر مختلفة من الزملاء •

٣ ـ أداء الأعمال التى تتطلب البعد عن الأفكار التقليدية الراسخة •

٤ ـ أداء الأعمال التى تتطلب التنوع فى طبيعة العمل •

وتضمنت الفئة الأخيرة بعض العوامل الأخرى وهى :

١ ـ اعطاء درجة من الحرية والاستقلال للعالم لكى يؤدى دوره العلمى •

٢ ـ اعطاء العالم صوتا فى اتخاذ القرارات التى تمس الجوانب العلمية لعمله •

٣ ـ اعطاء العالم الثقة فى الذات والتى تتمثل فى وضع الأعمال التى يقوم بها موضع التقدير •

وقد أوضح بلز أن هذا المناخ الذى يجمع بين هذين النوعين من

---

(٤١) challenge

(٤٢) security

العوامل انما يمد العلماء بما أسماه بالتوتر الابداعى(٤٣) • ذلك التوتر الذى أوضح الباحث المذكور فاعليته فى القدرة على الانتاج الابداعى •

وحدد ألامشا (Alamshah, 1967) بعض العوامل الأساسية التى تساعد على اظهار القدرة الابداعية فى شكل انتاج ابداعى • وقد وضع على رأس قائمة هذه العوامل عامل الدافعية • واشتمل عامل الدافعية عند الامشا على مجموعتين من العناصر : عناصر موروثة ، وعناصر مكتسبة • وتشير المجموعة الأولى من هذه العناصر الى التوترات البيولوجية التى تخدم فى دفع الشخص فى اتجاه معين ، ولهذا فهو يسميها بعناصر الدفع(٤٤) • وتشير المجموعة الثانية من العناصر الى بعض الاتجاهات التى يكتسبها الفرد من ظروف حياته مثل المثابرة والمجازفة(٤٥) والاستقلال • وهذه الفئة الأخيرة هى التى يطلق عليها عناصر الجذب(٤٦) •

وعناصر الجذب هذه هى التى توجه العناصر الموروثة ـ والتى تأخذ شكل التوترات ـ فى اتجاه معين بذاته • ذلك الاتجاه الذى يمكن تحديده فى هذا السياق فى أنه الاتجاه الى الانتاج الابداعى •

ويكشف هذا الاستعراض لوجهات النظر السابقة عن اتفاق الباحثين على أهمية توافر عامل الدافعية للقدرة على الانتاج الابداعى • الا أن هناك تساؤلين يفرضان نفسيهما فى هذا السياق وهما :

١ ـ ما هى درجة الدافعية المطلوبة للعملية الابداعية • بمعنى آخر هل العلاقة بين الدافعية والابداع هى علاقة مستقيمة بحيث أنه كلما زادت درجة الدافعية زادت بالتالى القدرة على الانتاج الابداعى ، أم أن العلاقة بينهما علاقة منحنية ؟

٢ ـ ما هو التوجه أو الاتجاه الذى تأخذه دافعية المبدع • بمعنى آخر ، ما هو نوع العمل الذى يستقطب دافعية المبدع التى كشف العرض السابق عن تميزه بها ؟

---

(٤٣) creative tension
(٤٤) push
(٤٥) adventurousness
(٤٦) pull

وفيما يختص بالتساؤل الأول قامت سلوى الملا (١٩٧١) بتحديد العلاقة بين القدرات الابداعية والتوتر النفسى ، ذلك التوتر الذى قصدت به حالة الحفز أو طاقة الفعل ، أو بمعنى آخر الدافعية بصفة عامة وليس فى ارتباطها بدافع معين بذاته • وقد قامت الباحثة فى هذه الدراسة بتطبيق بطارية من الاختبارات النفسية ، اختص البعض منها بقياس بعض القدرات الابداعية وهى الأصالة والطلاقة والمرونة والحساسية للمشكلات (بطارية جيلفورد) بالاضافة الى اختبارات الاحتفاظ بالاتجاه التى صممها سويف وصفوت فرج • أما البعض الآخر فقد اختص بالاختبارات التى تقيس التوتر النفسى ، بالاضافة الى اختبارين يقيسان الدافعية بشكل عام ألا وهما اختبار شدة الدفع لبرنجلمان (D) واختبار مستوى النشاط العام لجيلفورد (G) . وقامت الباحثة المذكورة بتطبيق بطارية الاختبارات هذه على مجموعة تتكون من مائتى طالب وطالبة من كلية الآداب ـ جامعة القاهرة •

واتضح من نتائج التجربة أن الأفراد متوسطى التوتر يختلفون من حيث قدرتهم الابداعية عن الأفراد المرتفعين والمنخفضين فيه ، بشكل واضح جاء فى صالح المجموعة المتوسطة • الأمر الذى استنتجت منه سلوى الملا أن هذا التوتر هو اتجاه أصيل وعميق فى العملية الابداعية ، ان لم يكن ضرورة لازمة لها • كما كشفت أيضا عن أن اختبارى "D" ، "G" من أكثر الاختبارات اشارة الى هذا الأمر •

وبصدد الاجابة على السؤال الثانى ، يرى بارون (Barron, 1963) أن دافعية المبدع انما تأخذ شكل الحاجة الى النظام(٤٧) • تلك الحاجة التى تدفعه الى السعى نحو اللاانتظامات الموجودة فى الأشياء بغية اعادة النظام اليها • وعلى هذا فان الشخص المبدع هو الشخص الذى يفسح مجال ادراكه لكل ما هو غير منتظم • وقد كشف بارون عن هذا من خلال تقديمه رسومات معينة كالدوائر والمثلثات والخطوط المستقيمة ، تتدرج من الأشكال الواضحة الى الأشكال المعقدة غير الواضحة ، الى مجموعة من المرشحين

---

(٤٧) need for order

لدرجة الدكتوراه فى عدد من أقسام العلوم فى جامعة كاليفورنيا • واتضح من هـذه الدراسة ، أن هناك علاقة بين الأصالة وتفضيل الأشكال الأقل وضوحا وبساطة • كما كشف بارون أيضا عن أن تفضيل مثل هـذه الأشكال المعقدة انمـا يميز الأفـراد المستقلين فى أحـكامهم ، أو بمعنى آخـر أولئك الذين لا يصدرون أحكامهم تحت ضغط الانصياع لمعايير الجماعـة •

وبصـدد تفسير وجود مثل هـذا الدافع لدى الأفراد المبدعين ، يذكر بارون أن هناك اتجاها معينا يفرض نفسه على العقل يتمثل فى الرغبـة فى التنبؤ بالظواهر المشاهدة فى الحيـاة • ذلك التنبـؤ الذى يفرض حـالة من الانتظام من خلال القيام بعملية تصنيف معينة للأشياء المتشابهة ، أو التى تحكمها اعتبارات منطقية متماثلة ـ هـذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى هناك الحياة بتواصلها واستمرارها وتقديمها لكل جديد بشـكل يجعل من عملية التنبؤ المطلوبة هـذه عملية تتسم بالصعوبة • ومن هنـا يبرز دور المبدع الذى يسلم بواقع الحياة وتطورها ، ويسلم أيضا بعـدم جـدوى الاستناد الى التصنيفات التقليدية الشـائعة التى لا يمكـن أن تستوعب خصوبة الحياة وتجددها • ومن ثم فهو ينهض بتقديم صورة جديدة يمكن أن تنتظم فيها تلك التغيرات التى تحدث فى العالم الخارجى •

ويتميز المبدع بهـذه القـدرة الفريدة نظرا لتمتعه بقدر كبير من التفتح على العالم الخارجى • ذلك التفتح الذى يجعله أكثر قدرة على معايشة ما يطرأ من تغيرات يعجز عن ادراكها الشخص العادى • كما يمكنه أيضا من القدرة على تحصيل أكبر قدر ممكن من الخبرة ، تساعده فى ذلك درجة مرتفعة من القدرة على توجيه الانتباه وتنظيم المدركات بفاعلية من أجل التنبؤ المطلوب •

وقد حاول مادى أيضا (Maddi, 1964; 1965) أن يقدم تحديدا لنوعية دافعية المبدع • فقام فى سبيل ذلك باستعراض منظور الباحثين المختلفين فى مفهوم الدافعية ذاته بغرض تبين ملاءمة احدى وجهات النظر هـذه للتحـديد الذى يمكن أن يخرج به • فذكر أن نظـريات الدافعية يمكن أن تصنف على أساس كونها واحدية(٤٨) (تقرر وجود دافع واحد لدى كل الأشخاص) أو

---

monistic (٤٨)

تعددية(٤٩) (تنص على وجـود أكثر من دافع) ، أو يمكن تصنيفهـا على أساس أنها تقرر تحـاشى حـالات غير مرغـوب فيهـا (مثل الخـوف من الفشل)(٥٠) أو الاقتراب من حالات مرغوبة ٠

وبناء على هـذا التصنيف يرى مادى أن المفهوم الواحـدى للدافعيـة لا يخدم السياق الحالى ٠ فالاعتماد عليه يجعل الخاصية المتميزة للعمـل الابداعى تفقد قيمتها ٠ كما أن نظرية التحاشى لا تفى بالغرض المطلوب ، فتحاشـى الجوانب غير المرغوب فيها يدفع فى أغلب الأحوال الى اختيار الوسائل التى تتسم بالسهولة ، وليس هـذا هو طريق العمل الابداعى ٠ وعلى هـذا فانه ينتهى الى أن مفهوم الدافعية الذى يتلاءم مع شخصية المبدع يمكن أن يجد تحديده من خلال النظريات التعددية ٠ كما أن الدوافع التى تكمن وراء العمـل الابداعى لا بد وأن تقود الفـرد فى اتجاه زيادة التوتر بدلا من خفض هـذا التوتر ٠

ومن خـلال هـذا يذكر مادى دافعين أساسيين يقـومان وراء العمـل الابداعى ٠ وهـذان الدافعان هما الحـاجة الى الجودة(٥١) والحـاجـة الى الأصالة(٥٢) ٠ ويعنى الدافع الأول رغبة الفرد المبدع فى توظيف امكاناته بالطريقة التى يرى نفسه فيها مؤديا لأعمال ذات قيمة من وجهـة نظـره الخاصة ٠ ولعل هذا الدافع هو الذى يقود الفرد الى المثابرة فى العمل حتى يصل الى صورة يشعر معها بالاقتناع ٠ فهذا الدافع ـ وفقا لوجهة نظر مادى ـ هو الذى جعل لورانس D. H. Lawrence يعيد كتابة قوس قزح(٥٣) ثمانى مرات حتى استطاع أن يشعر بالرضا عن عمله فى المحاولة الأخيرة ٠ أما الحاجة الى الأصالة ، فهى التى تكشف عن نفسها ، من خلال الاتجاه الى الأعمال الفريدة غير العادية نظرا لأنها تحمل فى حـد ذاتها عنصر الاستجابة الانفعالية السـارة التى يحس بها المبـدع ٠

---

(٤٩) pluralistic
(٥٠) feer of failure
(٥١) need for quality
(٥٢) need for novelty
(٥٣) The Rainbow

ومن خلال هـذين الدافعين ودرجة كل منهما يفسر مادى اتجاه المبدع حيال نوع معين من الابداع دون الآخر • فالفرد الذى تغلب لديه الحاجة الى الجودة على الحاجة الى الأصالة ، يميل الى الاتجاه الى حرفية(٥٤) فى الفن أكثر من اتجاهه الى الابداع فيه • والعكس بالعكس اذا تغلبت الحاجة الى الأصالة لديه على الحاجة الى الجودة • أما اذا توازت درجة هاتين الحاجتين لدى الفرد فانه يجمع بين الحرفية والابداع •

وتتفق وجهة نظر مادى هـذه مع ما كشف عنه جيلفورد (1970) فى دراسته العاملية التى حاول فيها تبين علاقة بعض الاهتمامات المختلفة مثل التفكير التاملى(٥٥) والتفكير المتزمت(٥٦) والتفكير الخيالى(٥٧) والاهتمام بالأنشطة الجمالية ، بالقدرة على التفكير الابداعى • فقد كشف جيلفورد فى هـذه الدراسة عن بعض العوامل التى تُرتبط بالتفكير الابداعى وهى :

١ ـ عامل تقبل الغموض(٥٨) وحدده فى الميل الى تقبل قدر من عدم التأكد من المتصل بالنتائج والقرارات ، والميل الى تحـاشى التفكير فى فئـات متصلبة •

٢ ـ الاهتمام أو الميل الى التفكير التغييرى •

٣ ـ عامل الاهتمام بالأصالة ، أو الرغبة القوية فى تنوع الانتاج •

وقد اتفقت أيضا نتائج مادى وجيلفورد هـذه مع ما وصل اليه هستون وميدنيك (Huston & Mednick, 1963) • فقد قـدم هستون وميدنيك لعينة دراستهما مجموعة من أزواج الكلمات كانت عبارة عن أسماء تبعث بتداعيات جـديدة ، وكلمـات (ليست بأسماء) تبعث بتـداعيات شـائعة وعـامة • واتضح من نتـائج التجربة أن الأشخاص ذوى القـدرة الابداعية العـالية

---

(٥٤) craftsmanship
(٥٥) reflective thinking
(٥٦) rigorous thinking
(٥٧) autistic thinking
(٥٨) tolerance of ambiguity

(كما تبدت على اختبار للنتائج البعيدة) اختاروا عددا من الأسماء أكثر مما اختاره الأشخاص ذوو القدرة الابداعية الأقل ٠

وبالاضافة الى هذه الأنواع المختلفة من الدوافع التى حددها الباحثون على أنها مميزة للافراد المبدعين ، ذكر أيضا بعض الباحثين الآخرين مجموعة أخرى من الدوافع ٠ ومن أمثلة هذه الدوافع ، الدافع الى الانجاز الذى يكشف عن نفسه من خلال المخاطرة المحسوبة (McClelland, 1963, p. 187) أو الدافع الى تحقيق الذات(٥٩) (Maslow, 1973, p. 41) .

وأمام هذه الصورة من النتائج التى تكشف عنها البحوث التى تم عرضها يمكن استشفاف الآتى :

١ ـ يتميز الأفراد المبدعون بدرجة ما من الدافعية ، تتمثل فى درجة ما من النشاط العام أو التوتر النفسى ، تمكنهم من القدرة على الانتاج الابداعى الذى يتطلب قدرا كبيرا من المثابرة ٠

٢ ـ ان دافعية المبدع تكون موجهة حيال هدف معين بذاته ، ذلك الهدف الذى يمكن تحديده هنا فى الانتاج الابداعى ٠ بمعنى آخر ، ان درجة النشاط العام أو التوتر الذى يميز الشخص المبدع انما يستقطبه مسار واحد ألا وهو مسار العمل الابداعى ٠

ولعل توجه دافعية المبدع حيال العمل الابداعى ، هو الذى حدا بالباحثين المختلفين الى اطلاق مسميات مختلفة على هذا النوع من الدافعية ٠ ويرجع ذلك الاختلاف الى خصوبة العملية الابداعية واشتمالها على عديد من الخصائص والسمات المختلفة ٠ ولكن على الرغم من هذا التنوع فى تلك المسميات ، فان نظرة متعمقة خلفها يمكن أن تكشف عن أرضية واحدة مشتركة ٠ فدافعية المبدع يمكن تحديدها فى عنصرين أساسيين : (١) عنصر وراثى يسمى بالنشاط العام أو الاستثارة ـ وهو عنصر يمكن أن يستقطب

---

(٥٩) self actualization

فى أى نشاط من الأنشطة ، (٢) وعنصر مكتسب يمكن تسميته بالاتجاه وهو الذى تلعب فيه القيم والاهتمامات والسمات الشخصية دورا بارزا • فالعنصر الأول من عنصرى الدافعية المشار اليهما ، كان يمكن أن يتجه الى أى اتجاه من اتجاهات الأنشطة المختلفة خلافا للنشاط الابداعى ، الا أن القيم والخبرات التى يمر بها المبدع فى حياته المبكرة بالاضافة الى قدرته الابداعية التى يتميز بدرجة عالية فيها انما تقف كمحددات للمسار الذى يسير فيه هـذا النشاط العام أو هـذه الاستثارة • ولعل البحوث المختلفة التى اجراها كل من تيرمان ورو وماكينون (Terman, 1970; Roe, 1970, Mackinnon, 1970) يمكنها أن تقـدم دليلا على هـذه الوجهـة من النظـر • فقـد كشفت هـذه الدراسات عن وجود درجة عالية من الارتبـاط بين اهتمامات وقيم وسمات شخصية الأفراد المبدعين فى حياتهم المبكرة واتجاهات أعمـالهم الابداعية بعـد ذلك ـ الأمر الذى حـدا بتيرمان لأن يقرر أن « اتجاه المبدع يمكن أن يلقى عليه الضوء من خلال اهتماماته المبكرة فى فترة الطفولة » (1970. p. 29) .

ومن ثم فان الدرجـة المرتفعة من القـدرة الابداعية التى يتمتع بهـا المبـدع ، بالاضـافة الى اهتماماته المبكرة وسمـاته الشخصية انما تقف كمحددات رئيسية لتوجيه دافعية المبدع الى المسار المحـدد ألا وهو مسار

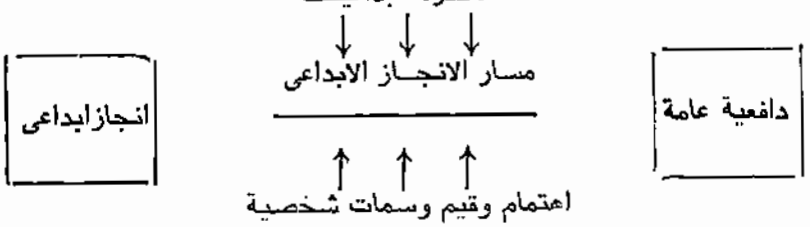

الانجاز الابداعى • الأمر الذى يمكن أن يقود الباحث الى افتراض ما يسمى بالدافع الى الانجاز الابداعى كدافع يميز المبدعين عن غير المبدعين •

ولعل اتخاذ دافعية المبدع لهذا المسار هو الذى يفسر حاجة المبدع الى الأصالة أو الجودة اللتان تحدث عنهما مادى ، أو الحاجة الى الانجـاز التى ذكرها ماكليلاند • كما أن اتخاذ هـذا المسار ، يمكن أيضا أن يقدم تفسيرا لبعض الخصائص التى يتميز بها المبدعون مثل المخـاطرة المحسـوبة ،

والاستقلال ، والتفتح على الخبرة الخارجية أو التفتح على الخبرة الداخلية ، وعديد من الخصائص الأخرى ٠

ومهما يكن من أمر ، فان البحث الحالى انما يولى اهتمامه فقط الى عامل الدافعية كما يتمثل فى النشاط العام لدى الفرد كمتغير وسيط يمكن أن يؤثر على علاقة العمر بالابداع ٠ فتحديد ماهية ونوع الدافعية التى يتميز بها الفرد المبدع يخرج عن نطاق اهتمام البحث الحالى ، هذا وان كان تحديدهما من الأهمية بحيث يمكن أن يفرض نفسه كموضوع مستقل لدراسة أخرى ٠

الدافعية والعمر

لعل موضوع الدافعية وعلاقتها بالعمر من أكثر الموضوعات احتياجا الى الدراسة ٠ فما زال علماء النفس يثيرون هذا الموضوع فى صورة تساؤلات دون وجود بحوث حقيقية تنهض بتقديم اجابة دقيقة عن صورة هذه العلاقة ٠ ويقول جاكو بزاك (Jakubczak, 1973, p. 107) ان احدى المشاكل الرئيسية التى تواجهها بعض دراسات علم النفس ، هى الاجابة عما اذا كان التدهور الذى يصاحب التقدم فى العمر يمكن رده الى التدهور فى القدرة أو الى التدهور فى دافعية الفرد ٠ وعلى الرغم من ذلك ، فان دراسات التقدم فى العمر قد ركزت اهتمامها على التغيرات التى تطرأ على القدرات المختلفة بتقدم العمر ، دون أن تولى جزءا من هذا الاهتمام الى تأثير العمر على الدافعية أو تأثيره على الدافعية فى علاقتها بالأداء ٠

ويثير هارى كاى (Kay, 1959, p. 624) هذه المشكلة أيضا من خلال تساؤله عما اذا كان التدهور الذى يلحق بأداء كبار السن فى بعض الوظائف يمكن رده الى التدهور فى قدراتهم المختلفة أم الى التدهور الذى يطرأ على درجة دافعيتهم ٠ ويرى أن الاجابة الدقيقة على مثل هذا التساؤل لا يمكن الوصول اليها الا من خلال وجود بعض الدراسات التى تنهض بالقاء الضوء على مدى تدهور دافعية الشخص مع تقدمه فى العمر ٠ تلك الدراسات التى ما زال المجال يفتقر اليها حتى الآن ٠

ويعبر بروملى (1966, pp. 205 & 6) أيضا عن وجهتى النظر السابقتين من خلال تساؤله عن طبيعة العلاقة التى يمكن أن تكون بين الأداء والدافعية فى اطار العمر • فهو يرى أن هناك ميلا لدى كبار السن لأن يكونوا أكثر بطئا وأقل مثابرة عند مواجهتهم بعض المشاكل المعقدة التى تتطلب حلا • ومن ثم فان التساؤل الذى يطرح نفسه ـ كما يقول بروملى ـ هو مدى تأثير كل من الدافعية والقدرة على هذا الاتجاه الذى يميز كبار السن • ومع ذلك ، فانه على الرغم من عدم وجود معلومات دقيقة عن مدى تدهور الدافعية لدى كبار السن فان بروملى يرى أن التدهور الذى يلحق بأداء معين بتقدم العمر انما يرد الى التدهور فى القدرة ذاتها وليس الى التدهور فى الدافعية •

ويطرح بروملى وجهة نظره هذه من خلال تصور أن الفرق بين الأداء الفعلى لدى كبار السن والأداء الذى يمكن أن ينهضوا به (الأداء المعبر عن أقصى امكانياتهم) أقل من الفرق الذى يمكن أن يوجد لدى الشباب • ومن ثم فان درجة الدافعية يمكن أن تكون ذات تأثير واه على الأداء لدى كبار السن •

وتلتقى وجهة نظر بوتوينك (1959, p. 763) مع وجهة نظر بروملى • فقد قام الأول فى احدى دراساته بتحديد دور الدافعية (كما تستثار خلال التعليمات) فى زيادة سرعة رد الفعل لبعض المنبهات السمعية • وقد قام بوتوبنك بدراسته هذه على مجموعتين من الأفراد متوسط عمر المجموعة الأولى ثلاثة وعشرون عاماً ونصف ، ومتوسط عمر المجموعة الثانية واحد وسبعون عاماً • فظهر من نتائج التجربة أن زمن رد الفعل تناقص بدرجة متساوية فى كلتا المجموعتين • الأمر الذى استنتج منه الباحث المذكور أن المستوى الأصلى للدافعية لا يمكن أن يبدو مفسرا لظاهرة تدهور أى أداء مع تقدم العمر • فالتدهور فى الأداء انما يعكس تدهورا فى قدرة الأفراد لا فى دافعيتهم •

ويقدم أتكنسون ، مع ذلك ، وجهة نظر أخرى تختلف عن تلك التى قدمها كل من بوتوينك وبروملى • فقد قام أتكنسون (1956) فى احدى تجاربه بتقسيم عينة دراسته الى ثلاث مجموعات تمثل ثلاثة مستويات مختلفة من القدرة الابداعية • ثم قام بعد ذلك بتقسيم كل مجموعة من هذه المجموعات الى مجموعتين ، مجموعة مرتفعة فى الدافع الى الانجاز ومجموعة منخفضة فى هذا الدافع • فكشفت نتائج دراسته عن ارتفاع أداء المجموعات

ذوات الدافعية المرتفعة بصرف النظر عن تباين مستوى القـدرة • الا أنه على الرغم من ذلك فقد ظهر تأثير الدافعية واضحا لدى المجموعـة ذات القـدرة المنخفضـة • الأمر الذىيكشف عن أهميـة وتأثير عـامل الدافعية على الأداء وخاصـة بالنسبة لأداء الأفراد ذوى القـدرات المنخفضة •

وفى ضوء هـذه الصورة التى تفتقد الى تحديد واضح لعلاقة كل من القـدرة والدافعية فى اطار العمر ، تبدو أهمية الكشف عن طبيعة هذه العلاقة • وهـذا هو ما يأمل الباحث فى الوصول اليه من خلال دراسته الحالية •